فلسفة التربية الحقة (*

﴿ بقلم حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد عبده الشهير ﴾

وهي رسالة نقلها عن درس للاستاذ العلامة الفيلسوف الشيخ جمال الدين الافغاني الحسيني رحمه الله كان ألقاه على طلبته الافاضل عند ما كان يدرس كتاب الاشارات للشيخ الرئيس أبي علي بن سيناء وجعل ذلك الموضوع فاتحة تدريسه . قال حفظه الله

اذا وجه العقل نظر الاعتبار الى الاجسام الحية بالحياة النباتية أو الحيوانية أو الانسانية علم أن قوام حياتها بتفاعل العناصر الداخلية في قوامها تفاعلا متناسبا بحيث لا يتميز أحد تلك العناصر بالغلبة على باقيها غلبة تقضي بظهور بعض خواصه وتسلطها على خصائص البقية فبذلك التناسب يتم للبدن الحي ما يسمى بالمزاج المعتدل الحامل لروح الحياة فان غلب أحد العناصر على سائرها واضمحلت خواص بقيتها فيه انحرف المزاج وخرج عن حد الاعتدال واستولى المرض على الجسم

وكما يكون الاختلال وفساد البنية بتغلب بعض العناصر على ما سواه منها كذلك يكون بمغالبة المزاج للحوادث الخارجية وغلبتها عليه كالبرد الشديد المذهب لروح الحرارة الغريزية والحر الشديد الموجب للاحتراق وتحلل الرطوبة الضرورية المنتهي الى اليبس نذير الموت والفناء

ومن ثم وضعوا علوم النباتات والحيوانات والطب البشري والبيطري ليبحث في تلك العلوم عما به يحفظ التوازن بين البسائط التي يتركب منها الجسم ويحترز من تسلط الحوادث الخارجية عليه ويعاد به المزاج الى حالة

(*) فاتحة العدد السابع والثلاثين الصادر في يوم السبت ١٩ رجب سنة ١٣١٦

فلسفة التربية الحقة (*

﴿ بقلم حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد عبده الشهير ﴾

وهي رسالة نقلها عن درس للاستاذ العلامة الفيلسوف الشيخ جمال الدين الافغاني الحسيني رحمه الله كان ألقاه على طلبته الافاضل عند ما كان يدرس كتاب الاشارات للشيخ الرئيس أبي علي بن سيناء وجعل ذلك الموضوع فاتحة تدريسه . قال حفظه الله

اذا وجه العقل نظر الاعتبار الى الاجسام الحية بالحياة النباتية أو الحيوانية أو الانسانية علم أن قوام حياتها بتفاعل العناصر الداخلية في قوامها تفاعلا متناسبا بحيث لا يتميز أحد تلك العناصر بالغلبة على باقيها غلبة تقضي بظهور بعض خواصه وتسلطها على خواص البقية فذلك التناسب يتم للبدن الحي ما يسمى بالمزاج المعتدل الحامل لروح الحياة فان غلب أحد العناصر على سائرها واضمحلت خواص بقيتها فيه انحرف المزاج وخرج عن حد الاعتدال واستولى المرض على الجسم

وكما يكون الاختلال وفساد البنية بتغلب بعض العناصر على ماسواه منها كذلك يكون بمغالبة المزاج للحوادث الخارجية وغلبتها عليه كالبرد الشديد المذهب لروح الحرارة الغريزية والحر الشديد الموجب للاحتراق وتحلل الرطوبة الضرورية المنتهى الى اليبس نذير الموت والفناء

ومن ثم وضعوا علوم النباتات والحيوانات والطب البشري والبيطري ليبحث في تلك العلوم عما به يحفظ التوازن بين البسائط التي يتركب منها الجسم ويحترز من تسلط الحوادث الخارجية عليه ويعاد به المزاج الى حالة

(*) فاتحة العدد السابع والثلاثين الصادر في يوم السبت ١٩ رجب سنة ١٣١٦

الاعتدال ان خرج عنها لتتم حكمة الله في بقاء الانواع الى آجالها المحددة بحكم الحكمة الازلية . فالنباتيون يبينون الاراضي القابلة للزراعة والغراسة لكل نبات ويحددون الفصول الملائم هواؤها لنموه ويوضحون مواد التسميد وغير ذلك مما لابد منه في تربية النباتات وكذلك الاطباء يبحثون عن مواد الاغذية وماذا يجب ان يتخذ منها لكل مزاج ومضار الاهوية ومنافعها ويقفون بتجاربهم الصادقة على الادوية النافعة لرد البدن الى حالة الصحة وآلات العلاج المفيدة حتى يحفظ بذلك على البدن صحته ويرجع اليها ان انحرف عنها

ولن يكون الطبيب طبيبا يترتب عليه فائدته حتى يكون على علم بالتاريخ الطبيعي وعلوم النباتات ليعلم خواصها ويميز نافعها من ضارها ، وعلى بصيرة من اختلاف الامزجة ومقتضياتها وما يلائم كل واحد على حسبه ، وخبيرا بعلل الامراض واسبابها وكيفياتها من شدة وضعف وتاريخها من قدم وحدوث حتى يعالج كلا بما يليق به ، فان جهل من ذلك شيئا كان فقده خيرا من وجوده ، فان الطبيب الجاهل رسول ملك الموت اذ بجهله يستعمل من الادوية ما عساه يهيج المرض ، ويمنع من الاغذية ما يساعده على قوته فيفضي ذلك الى هلاك المريض وقد كان بدونه يحتمل الشفاء بمقاومته الطبيعية لولا مساعدة الجاهل وعونه ، وكما يلزم للطبيب أن يكون عالما بجميع ما قدمنا يجب ان يكون شفيقا رحيما صادقا أمينا ، لا يكون قصارى عمله ما يناله من جعل المعالجة فانه ان كان قاسيا عديم الرأفة أو كان خائنا قلعا صار آلة في أيدي أعداء المريض يستعملونه لهلاكه بالقائه السم في الادوية مثلا أو إهماله في العلاج بما يقدمون

الاعتدال ان خرج عنها لتم حكمة الله في بقاء الانواع الى آجالها المحددة بحكم الحكمة الازلية . فالنباتيون يبينون الاراضي القابلة للزراعة والغراسة لكل نبات ويحددون الفصول الملائم هواؤها لنموه ويوضحون مواد التسميد وغير ذلك مما لابد منه في تربية النباتات وكذلك الاطباء يبحثون عن مواد الاغذية وماذا يجب ان يتخذ منها لكل مزاج ومضار الاهوية ومنافعها ويقفون بتجاريبهم الصادقة على الادوية النافعة لرد البدن الى حالة الصحة وآلات العلاج المفيدة حتى يحفظ بذلك على البدن صحته ويرجع اليها ان انحرف عنها

ولن يكون الطبيب طبيبا يترتب عليه غايته حتى يكون على علم بالتاريخ الطبيعي وعلوم النباتات ليعلم خواصها ويميز نافعها من ضارها ، وعلى بصيرة من اختلاف الامزجة ومقتضياتها وما يلائم كل واحد على حسبه ، وخبيرا بعلل الامراض واسبابها وكيفياتها من شدة وضعف وتاريخها من قدم وحدوث حتى يعالج كلا بما يليق به ، فان جهل من ذلك شيئا كان فقده خيرا من وجوده ، فان الطبيب الجاهل رسول ملك الموت اذ بجهله يستعمل من الادوية ما عساه يهيج المرض ، ويمنع من الاغذية ما يساعده على قوته فيفضي ذلك الى هلاك المريض وقد كان بدونه يحتمل الشفاء بمقاومته الطبيعية لولا مساعدة الجاهل وعونه ، وكما يلزم للطبيب أن يكون عالما بجميع ما قدمنا يجب ان يكون شفيقا رحيما صادقا أمينا ، لا يكون قصارى عمله ما يناله من جعل المعالجة فانه ان كان قاسيا عديم الرأفة أو كان خائنا قلعا صار آلة في أيدي أعداء المريض يستعملونه لهلاكه بالقائه السم في الادوية مثلا أو إهماله في العلاج بما يقدمون

اليه من المرض الثاني ، وكذلك ان قصر همه على ما يناله من الدينار والدرهم فانه ان كان على تلك الصفة لم يكترث بحال المريض ما دام يوفى أجر عمله فان هلك فقد نال ما يزيد عن مكافأته وان امتد المرض زاد الايراد بتوارد الاوقات فعدمه ايضا خير من وجوده

وكما أن روح الحياة البدني إنما يستقر حين تجتمع أصول متضاربة ينشأ من تغالبها مزاج معتدل كامل وغلبة أحدها يفسد التركيب ويذهب الروح الحيوي من حيث أتى — كذلك روح الكمال الانساني انما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادة وملكات متخالفة يقوم من تضادها وتخالفها حقيقة الفضيلة المعتدلة التي هي ركن بيت سعادة الاخلاق وعليها مدار حياته الفاضلة ، فان تغلب أحد الخلقين على الآخر في نظام النفس واستحكمت الرذيلة وبات شقيا سيء الحال وسقط في مهاوي التعب والشقاء المفضي الى الحين والهلاك

ألا ترى ان النفس الانسانية لا بد لها من خلق الجراءة وخلق المخافة وهما متضادان ، ومن تقاومهما على وجه معتدل بحيث يستعمل كلا فيما يليق به من المواقع تتحقق فضيلة الشجاعة التي لو فقدت بتغلب المخافة لكان فاقدها عرضة لتعدي جميع الحيوانات عليه ولم يستطع عن نفسه دفاعا وكانت حياته على خطر يتهدده في جميع أوقاته . ولو أن الجراءة تغلبت على المخافة حتى ذهب أثرها كانت تهورا وعدم اكتراث بالمهالك لحق ولغير حق بدون تبصر ولا مراعاة حكمة فيلقي بروحه في مهاوي الهلكة بلا طائل يعود على نفسه أو وطنه ، وكذلك لا بد لها من خلق الامساك والبذل وهما متخالفان متعارضان يتقوم من تغالبهما في النفس فضيلة السخاء والبذل في موضع الاستحقاق اذا اعتدلا ، ولو أن الامساك تغلب على ضده حتى

اليه من المرض الثاني ، وكذلك ان قصر همه على ماينا له من الدينار والدرهم فانه ان كان على تلك الصفة لم يكترث بحال المريض مادام يوفى أجر عمله فان هلك فقد نال مايزيد عن مكافأته وان امتد المرض زاد الايراد بتوارد الاوقات فعدمه ايضا خير من وجوده

وكما أن روح الحياة البدني انما يستقر حين تجتمع أصول متضادة ينشأ من تغالبها مزاج معتدل كامل وغلبة أحدها يفسد التركيب ويذهب الروح الحيوي من حيث أتى — كذلك روح الكمال الانساني انما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادة وملكات متخالفة يقوم من تضادها وتخالفها حقيقة الفضيلة المعتدلة التي هي ركن ليت سعادة الانسان وعليها مدار حياته الفاضلة، فان تغلب أحد الخلقين على الاخر فسد نظام النفس واستحكمت الرذيلة وبات شقياً سيء الحال وسقط في مهواة التعب والعناء المفضيين الى الحين والهلاك

ألا ترى ان النفس الانسانية لا بد لها من خلق الجراءة وخلق المخافة وهما متضادان؟ ومن مقاومتهما على وجه معتدل بحيث يستعمل كلا فيما يليق به من المواقع تتحقق فضيلة الشجاعة التي لو فقدت بتغلب المخافة لكان فاقدها عرضة لتعدي جميع الحيوانات عليه ولم يستطع عن نفسه دفاعا، وكانت حياته على خطر يتهدده في جميع أوقاته. ولو أن الجراءة تغلبت على المخافة حتى ذهب أثرها كانت تهورا وعدم اكتراث بالمهالك لحق ولغير حق بدون تبصر ولا مراعاة حكمة فيلقي بروحه في مهاوي الهلكة بلا طائل يعود على نفسه أو وطنه، وكذلك لا بد لها من خلق الامساك والبذل وهما متخالفان متعارضان يتقوم من تغالبهما في النفس فضيلة السخاء والبذل في موضع الاستحقاق اذا اعتدلا ، ولو أن الامساك تغلب على ضده حتى

اضمحل فيه لامسك عن قضاء لوازمه الضرورية فلا يأتي باللائق من الاغذية مثلا والالبسة فيضر بدنه ولم يوف بحقوق مشاركيه في المعيشة كزوجته وولده أو في التعامل كجيرانه وأهل بلده فيقع الشقاق بينهم ويتأدي به الى شقاء دائم وغير ذلك من مفاسد البخل التي لا تنحصر ، ولو تغلب البذل لانفق جميع ما بيده في المفيد وغير المفيد حتى يصبح فقيراً لا يجد ما ينفقه في ألزم لوازمه فيهلك وهكذا جميع الملكات الفاضلة الانسانية انما هي وسط لطرفين متضادين لا بد من ظهور أثر كل منهما على نسبة معتدلة وبغلبة أحدهما على الآخر يختل نظام الفضيلة ولا محالة، وينهدم بيت السعادة دنيوية كانت أو أخروية، ولا يسعنا المقام لتفصيل ذلك. وكما يقع المنادبتغلب أحد الضدين على الآخر في النفس قد يقع أيضاً بتغلب أمر خارج على مزاج الفضيلة كغلبة التربية الفاسدة المتأتية من معاشرة الفاسد ومخالطة ذوي الملكات الرذيلة والغرائز الناقصة واتصال النفس بحركاتهم وسكناتهم وتقليدها لاعمالهم وتقلدها بعاداتهم أو باستماع اغواء ذوي الاهواء وتمويهات أرباب الاغراض الفاسدة الدنيئة المذيعين للافكار الرديئة المؤيدين للعقائد الباطلة التي ينبعث منها سوء الاخلاق المؤدي الى فساد المعيشة فللنفوس علل وامراض كما للابدان ذلك

ومن ثم قد وضعت علوم التربية والتهذيب لتحفظ على النفس فضائلها وتردها عليها ان اعتلت وانحرفت عنها الى جانب النقص والاعوجاج كما وضع الطب ولوازمه لحفظ صحة الابدان كما بينا

فالحكماء العمليون القائمون بأمر التربية والارشاد وبيان مفاسد الاخلاق ومنافعها وتحويل النفوس من حالة الكمال بمنزلة الاطباء. وكما انهم

اضمحل فيه لامسك عن قضاء لوازمه الضرورية فلا يأتي باللائق من الاغذية مثلا والالبسة فيضر بدنه ولم يوف بحقوق مشاركيه في المعيشة كزوجته وولده أو في التعامل كجيرانه وأهل بلده فيقع الشقاق بينهم وتأدي به الى شقاء دائم وغير ذلك من مفاسد البخل التي لا تحصر ، ولو تغلب البذل لانفق جميع ما بيده في المفيد وغير المفيد حتى يصبح فقيراً لا يجد ما ينفقه في ألزم لوازمه نفسه وهكذا جميع الملكات الفاضلة الانسانية انما هي وسط لطرفين متضادين لا بد من ظهور أثر كل منهما على نسبة معتدلة وبتغلب أحدهما على الآخر يختل نظام الفضيلة ولا محالة، وينهدم بيت السعادة دنيوية كانت أو أخروية، ولا يسمح المقام لتفصيل ذلك. وكما يقع التمادي بتغلب أحد الضدين على الآخر في النفس تدريجياً تغلب أمر خارج على مزاج الفضيلة كتغلب التربية الفاسدة المنزلية لمعشر الناس مخالطة ذوي الملكات الرذيلة والغرائز الناقصة واتصال النفس بحركاتهم وسكناتهم وتقليدها لاعمالهم وتقليدها بعاداتهم أو باستماع اغواء ذوي الاهواء وتمويهات أرباب الاغراض الفاسدة الدنيئة المذيعين للافكار الرديئة المؤيدين للعقائد الباطلة التي ينبعث منها سوء الاخلاق المؤدي الى فساد المعيشة فللنفوس علل وامراض كما للابدان ذلك

ومن ثم قد وضعت علوم التربية والتهذيب لتحفظ على النفس فضائلها وتردها عليها ان اعتلت وانحرفت عنها الى جانب النقص والاعوجاج كما وضع الطب ولوازمه لحفظ صحة الابدان كما بينا

فالحكماء المسلمون القائمون بأمر التربية والارشاد وبيان مفاسد الاخلاق ومنافعها وتحويل النفوس من حالة الكمال بمنزلة الاطباء، وكالزم

للطبيب أن يكون عالما بالتاريخ الطبيعي والنباتات والحيوانات وعلل الامراض وأسبابها ودرجاتها من شدة وضعف كذلك يلزم للحكيم الروحاني طبيب النفوس والارواح اذا رقي منبر الارشاد ان يكون عالما بتاريخ الامة التي قام بارشاد ابنائها وتاريخ غيرها من الامم أيضاً وان يكون مطلعاً على درجات ترقيها ودركات تدنيها في جميع الازمان وأن يسبر أخلاقها بمسبار الحكمة ليعلم أسباب أمراضها النفسية ويقف على درجات الداء وتمكنه فيهم وانه حديث أو قديم قوي في النفوس أو ضعيف وما هو العلاج اللائق بكل صنف

وكما أنه يجب على الطبيب البدني ان يكون على علم تام بمنافع الاعضاء وغايتها كذلك على الطبيب الروحاني ان يكون عالما بمنافع الاخلاق ومضارها على طبق ما في نفس الامر والواقع.

وكما يلزم ان يكون الطبيب شفيقا رحيما صادقا أمينا لا ينظر الى الدنايا ولا ينحط الى المقاصد السافلة كذلك على النصحاء والمرشدين أن يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة مرتفعي الهمم أولى مقاصد عالية لا يبيعون الفضيلة بحطام الدنيا ولا بالقرب والتزلف الى الامراء والكبراء. أولئك هم المرشدون الحقيقيون، فان رزقت الامة بمثلهم فبشرها بالسعادة وان رزئت بمطببين لا أطباء بان صعد على منابر النصح فيها الجهلة والاغبياء والسفلة والادنياء، فأنذرها بالعناء والشقاء، فان المرشد الضال والنصوح الجاهل يودع النفوس رذائل الاخلاق باسم انها فضائل ويغرس فيها جراثيم الشر باسم انها أصول الخير ولربما كان مقصده حسناً ولا يريد الا خيرا ولكن جهله يعميه عن سلوك طريقه، ويبعده عن اتخاذ وسائله

للطبيب أن يكون عالماً بالتاريخ الطبيعي والنباتات والحيوانات وعلل الامراض وأسبابها ودرجاتهما من شدة وضعف كذلك يلزم للحكيم الروحاني طبيب النفوس والارواح اذا رقي منبر الارشاد ان يكون عالماً بتاريخ الامة التي قام بارشاد ابنائها وتاريخ غيرها من الامم أيضاً وان يكون مطلعاً على درجات ترقيها ودركات تدنيها في جميع الازمان وأن يسبر أخلاقها بمسبار الحكمة ليعلم أسباب أمراضها النفسية ويقف على درجات الداء وتمكنه فيهم وانه حديث أو قديم قوي في النفوس أو ضعيف وما هو العلاج اللائق بكل صنف

وكما أنه يجب على الطبيب البدني ان يكون على علم تام بمنافع الاعضاء وغاياتها كذلك على الطبيب الروحاني ان يكون عالماً بمنافع الاخلاق ومضارها على طبق ما في نفس الامر والواقع .

وكما يلزم ان يكون الطبيب شفيقاً رحيماً صادقاً أميناً لا ينظر الى الدنيا ولا ينحط الى المقاصد السافلة كذلك على النصحاء والمرشدين أن يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة مرتفعي الهمم أولي مقاصد عالية لا يبيعون الفضيلة بحطام الدنيا ولا بالقرب والتزلف الى الامراء والكبراء . أولئك هم المرشدون الحقيقيون، فان رزقت الامة بتلهم فبشرها بالسعادة وان رزئت بمطببين لا أطباء بان صعد على منابر النصح فيها الجهلة والاغبياء والسفلة والادنياء، فأنذرها بالعناء والشقاء، فان المرشد الضال والنصوح الجاهل يودع النفوس رذائل الاخلاق باسم انها فضائل ويغرس فيها جرائم الشر باسم انها أصول الخير ولربما كان مقصده حسناً ولا يراد الا خيراً ولكن جهله يعميه عن سلوك طريقه ، ويبعده عن اتخاذ وسائله

فتقع الارواح في الجهل المركب وهو شر من الجهل البسيط فاذا التاثي على باب الفضيلة لا يلبث ان فتح له ان يلجه، وصاحب الاول قد بعد من المقصد بمراحل واستقر تحت نير الرذيلة واعتقد ذلك ظلا ظليلا فلا يمكن العدول عما وقع فيه الا بعد مكابدة شديدة وعناء طويل، فلاريب اذا كان عدم هؤلاء المرشدين خيراً من وجودهم. وكذلك ان كان خائناً أو دنيئاً ينحط الى سفاسف الامور أو عديم الشفقة الانسانية فانه يتخذ النصيحة سلما للوصول الى أغراضه الفاسدة ومطالبه الذاتية فلا يبالي أوقع الافراد في خير أو شر، صفت النفوس أو تكدرت، ارتقت الآداب أو انحطت، صحت الارواح أو اعتلت، فيكون آلة بيد الاشرار وذوي الاهواء يستعملونه في فساد الامة لمشيئة انفسهم أو مطامعهم

ألا وان القائمين بامر الارشاد محصورون في قبيلين: قبيل الخطباء والوعاظ وقبيل الكتبة والمصنفين ومنهم أرباب الجرائد، فان كانوا على نحو الاوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم هذا كما تقدم فقد استحقوا التعظيم والاحترام والتبجيل والاجلال، واستوجبوا الشكر والثناء من كل قلب مخلص وقاموا بخدمة أوطانهم وابناء جلدتهم، والا استحقوا الرفض والطرد والابعاد ووجب على كل من يهمه أمر الاصلاح أن يقذفوا بهم من البلاد كيلا يفسدوها بمرضهم الوبائي الذي لا يقتصر على المبتلي بل يتعداه بالسراية الى كل من سواه » اه   (الموسوعات)

فتقع الارواح في الجهل المركب وهو شر من الجهل البسيط فان ذا الثاني على باب الفضيلة لا يلبث ان فتح له ان يلجه، وصاحب الاول قد بعد من المقصد بمراحل واستقر تحت نعم الرذيلة واعتقد ذلك ظلا ظليلا فلا يمكن العدول عما وقع فيه الا بعد مكابدة شديدة وعناء طويل، فلا ريب اذا كان عدم هؤلاء المرشدين خيراً من وجودهم. وكذلك ان كان خائناً أو دنيئاً ينحط الى سفاسف الامور أو عديم الشفقة الانسانية فانه يتخذ النصيحة سلما للوصول الى أغراضه الفاسدة ومطالبه الذاتية فلا يبالي أوقع الافراد في خير أو شر، صفت النفوس أو تكدرت، ارتفعت الآداب أو انحطت، صحت الارواح أو اعتلت، فيكون آلة بيد الاشرار وذوي الاهواء يستعملونه في فساد الأمة لمشتهيات أنفسهم أو مطامعهم

ألا وان القائمين بأمر الارشاد محصورون في قبيلين: قبيل الخطباء والوعاظ وقبيل الكتبة والمصنفين ومنهم أرباب الجرائد، فان كانوا على نحو الاوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم هذا كما تقدم فقد استحقوا التعظيم والاحترام والتبجيل والاجلال، واستوجبوا الشكر والثناء من كل قلب مخلص وقاموا بخدمة أوطانهم وابناء جلدتهم، والا استحقوا الرفض والطرد والابعاد ووجب على كل من يهمهم أمر الاصلاح أن يقذفوا بهم من البلاد كيلا يفسدوها بمرضهم الوبائي الذي لا يقتصر على المبتلى بل يتعداه بالسراية الى كل من سواه » اه (الموسوعات)

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
﴿ فأضلونا السبيلا ﴾

٥

(المرشدون والمربون — أو — المتصوفة والصوفيون)

الاسلام دين علم الناس أن يعتمدوا في سعادتهم الدنيوية والاخروية على أعمالهم النفسية والبدنية ، وفضل أهل العمل والكسب على المنقطعين لعبادة الله المعتمدين في أمر معاشهم على من يعولهم من أهليهم أو غيرهم ، وأقام لكل قاصر وليا يتولى شؤونه ويعنى بتربيته حتى يرشد ويقوى على العمل وعند ذلك يدعه وشأنه، وجعل لكل عاجز فيما يتعهده وينفق عليه ويقوم بأمره الذي عليه مدار حياته ، وجعل هذه الولاية والقيام في الاقربين لانهم أولى بالمعروف وأقرب الى العناية الصحيحة بأمر الصغير والعاجز على ترتيب معروف في فن الفقه، فمن لم يكن له أقارب فعلى أهل وطنه من المسلمين الذين جعلهم الاسلام عائلة واحدة وفرض عليهم القيام بأمر بعضهم على ترتيب يراعى فيه الاقرب فالاقرب نسبا وجواراً ووطنا وديناً . بل فاض عدل الاسلام وعمت رحمته فلم الآخذين به أن يشملوا بعنايتهم هذه كل من تفيأ ظلالهم ودخل في سلطانهم من أي دين كان، فهو يحض على تربية اليتيم واطعام الجائع وكسوة العاري واعتهاد الضعيف وتجهيز الميت من غير المسلمين اذا لم يوجد لهؤلاء أولياء من ذويهم وأقاربهم وجعل ذلك حقا على المسلمين للذميين على تفصيل يعرف من الفقه

ومن وظائف الحكام إلزام المسلمين بما ذكر مع مراعاة شروطه اذا هم قصروا فيه

وغرضنا من هذه الكلمات هنا بيان ان تعميم التربية واجب في الاسلام ، وكما تجب تربية كل صغير حتى يكبر ويرشد يجب الاخذ على يد كل كبير اذا اجترح السيئات واقترف المنكرات أو أخل بالآداب العامة وعبث بمصالح الناس وذلك بإلزامه بترك المنكر فعلا أو ارشاده الى ذلك قولا . ومن أخل بهذا الواجب هبط الى أسفل درج الاسلام وسقط في أضعف الايمان الذي ليس بينه وبين الكفر الا خطوة واحدة (اذ لا معنى لكونه أضعف الايمان الا هذا) وهذا على تقدير انه ساخط على من فعل القبيح منكرا له في قلبه كما ورد في الحديث الشريف . وفرض مع هذا أيضا القيام بالأمر بالمعروف والدعوة الى الخير وانذار الناس بعواقب التفريط لعلهم يرجعون

على هذا كان الاسلام في مبدأ ظهوره ! ولو ظل أهله على منهاجه القويم وصراطه المستقيم لما ضل أحد منهم عن سعادته ولما أهمل أمر التربية والارشاد من الكافة ولما انفردت به فئة من الناس سارت في الجادة زمنا وانحرفت عنها أزمانا وجعلت عنايتها في التربية الروحية فقط وأفرطت في الزهادة كما أفرط الذين من قبلهم فأهملوا مصالح الدنيا ولم يوفوا البدن حقوقه وذلك مما جاء الاسلام لتعديله ... وبالجملة انهم حتى في طور كمالهم لم تكن تربيتهم وارشادهم على الوجه الذي يكفل للامة سعادة الدارين . ولذلك لم يتبع طريقتهم في كل عصر الا بعض الناس وصاروا فرقة مستقلة سميت الصوفية عدها بعض المؤرخين من الفرق المشتقة من الاسلام

المخالفة لسائر الفرق في الاصول كالمعتزلة والشيعة وأهل السنة . وكيف لا وقد عاملهم فقهاء أهل السنة وحكامهم بأشد ما عاملوا به سائر الفرق فحكموا ببدعة بعضهم وكفروا كثيراً من أكابر شيوخهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ثم غلوا بعد ذلك في تعظيمهم والتسليم الاعمى لهم غلوا كبيرا

من هم الصوفية وما هو شأنهم ؟؟ قال الامام القشيري في رسالته ما حاصله : ان المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى الصحابة اذ لا أفضلية فوقها ثم سمي من أدركهم التابعين ثم من أدركهم تابعي التابعين ثم تباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعي من الفرق فكل فريق ادعوا ان فيهم زهدا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى ، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة اه

وقال العارف الشهاب السهروردي في عوارف المعارف بعد ماذكر الصحابة والتابعين ما حاصله : « ثم لما بعد عهد النبوة وتوارى نورها واختلفت أيضا الآراء وكدر شرب العلوم شرب الاهوية وتزعزعت أبنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكشف حجابها ، وكثرت العادات وغلكت أربابها ، وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها ، تفردت طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية واغتنموا العزلة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة أهل الصفة تاركين الاسباب مبتهلين الى رب الارباب فأثمر لهم صالح الاعمال وسني الاحوال وتهيأ صفاء الفهوم لقبول

العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الايمان إيمان كما قال حارثة: أصبحت مؤمنا حقا لما كوشف بمرتبة الايمان غير ما عهد فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها تعرب عن أحوال يجدونها فأخذ ذلك الخلف من السلف حتى صار رسما مستمرا وخبرا مستقرا في كل عصر وزمان فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به فالاسم سمتهم والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم والتقوى شعارهم وحقائق الحقيقة أسرارهم » اه

أقول يعلم من كلام هذين الامامين في التصوف وغيرهما أن ما كانوا عليه لا يمكن ان تكون عليه الامة بتمامها لان العزلة والانفراد وترك العمل للدنيا يفضي الى ضعف الامة واضمحلالها ويقضي ذلك بزوالها. وأنه قد تجددت لهم علوم ومعارف وأحوال لم تكن تعهد عند سلفهم من الصحابة والتابعين وذلك كالكلام على ما وراء الحس والعقل من العوالم الغيبية وهو ما يسمونه علم الأسرار قال ابن الفارض رحمه الله تعالى

وثم وراء العقل علم يدق عن   مدارك غايات العقول السليمة

ولهم علوم كثيرة جدا تعلم أسماؤها من كتاب الفتوحات المكية وانما جاءهم ذلك من الرياضات والمجاهدات النفسية والعناية بمعرفة ما انطوى عليه الروح الانساني من الخواص والمزايا والقوى الادراكية والتأثيرية ومن ذلك ما يسمونه الكشف والامداد والتصرف بالهمة. ولقد سبقهم الى ذلك فلاسفة اليونان والهنود ولكن الصوفية وصلوا منه الى غاية لم ينته اليها غيرهم. وكل هذا من علم أسرار الكون وطبائع الخلق كالعلم بنواميس النور والكهربائية وخواصهما ولكنه لما جاء بصبغة دينية من رجال الدين حدث عنه ما أشرنا اليه من حط الفقهاء والاحكام على أهله

وتكفيرهم وسفك دمائهم كما فعلوا مع الفلاسفة الذين بحثوا في بقية أسرار الخلق وصبغوا علمهم بصبغة الدين وخلطوه بعلم العقائد الذي سموه (علم الكلام)وكان اضطهادهم للصوفية أشد من اضطهادهم للفلاسفة كما يعلمه من قرأ التاريخ وماذلك الا لان علم الصوفية الترب عن فهم الفقهاء أمس بالدين بل هو ثمرة التمسك بفضائل الدين وآدابه كما يقول عامة أصحابه ولذلك ممزوجوه بالقرآن والسنة مزجا ولكن جاء بعضه مخالفا لظاهر الشرع

ليس غرضنا من هذه المقالة بيان مواضع الخلاف بين الفقهاء والصوفية ولا بيان الصواب والخطأ في ذلك وانما نقول ان الصوفية انفردوا بركن عظيم من أركان الدين وهو التهذيب علما وعملا وتحققا ولم يكن أمرهم في أول العهد الاجمل صالحون يتخلقون بالاخلاق الفاضلة، ثم لما دونت العلوم في الملة كتب شيوخ هذه الطائفة في الاخلاق ومحاسبة النفس فجاؤا بما قصرت عنه الفلاسفة الاولون ثم حدث فيهم الخوض في الكلام على ماوراء الحجاب وشرح ماتنتجه المجاهدة من الاذواق والمواجد وعجائب الخيال ومزجوا كلامهم بالفلسفة العقلية والطبيعية والعلمية وسلكوا في فهم القرآن مسلك طوائف الباطنية الذين كانوا أعظم صدمة على الاسلام فذهبوا الى ان القرآن معاني غير ماتعطيه اللغة وأساليبها واشاراتها وزعم الباطنية انها هي المقصودة بالذات وقد جاء الصوفية من ذلك بالصحيح والفاسد والباطل الذي ينابذ القرآن والدين بالكلية وقد ورد في حسان الاخبار وصحاحها «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »والمراد برأيه هواه الذي يؤيد مذهبه ،ثم ان لبعض الصوفية فهما في القرآن ترقص له العقول وتعجز عنه العلماء الفحول وقد أنكر الامام الغزالي على المتصوفة نحو

تأويل فرعون بالقلب القاسي والاحتجاج على مجاهدته بقوله تعالى (اذهب الى فرعون انه طغى) وان كان الغرض به صحيحاً ولهم من تحريف الكلم عن مواضعه ما هو أشد من هذا كقول بعضهم في قوله تعالى (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) الملوك هي الله «تعالى عن ذلك» والقرية القلب والافساد تبديل الصفات المذمومة بالممدوحة وكقول بعضهم في قوله تعالى «من ذا الذي يشفع عنده» من ذل ذي يشفع أي من أذل نفسه ينال مقام الشفاعة عند الله تعالى . وقد قال ابن الصلاح الفقيه الشهير في فتاويه وجدت عن الامام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير فان كان اعتقد ان ذلك تفسير فقد كفر قال وانا اقول الظن بمن يوثق به منهم اذا قال شيئاً من ذلك انه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب مذهب الشرح للكلمة فانه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وانما ذلك منهم تنظير ماورد به القرآن والنظير يذكر بالنظير ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الايهام والالباس اه

أقول وقد وقع بالفعل الالتباس فضل به كثير من الناس وما كان من غرائب الصوفية صحيح المعنى في ذاته كان خطوة موصلة لاباطيل الباطنية عند غير البصير المحقق والذي يدرك الفرق قليل . والتفسير المطبوع المنسوب لسيدي الشيخ الاكبر هو لبعض الباطنية وفيه من تحريف القرآن مالم يأت بمثله محرفو التوراة ومع ذلك تزين به المكاتب ويحترمه العلماء وقد قال العلامة النسفي في عقائده: النصوص على ظواهرها

والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد، قال العلامة التفتازاني وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية

هذا من شر ما ترتب على مذهب التصوف من مضرة الامة وهو مع ما ذكرناه أولا من الافراط في الزهادة وترك العمل للدنيا وقد نفر أهل العلم والتعليم من النظر في كتبهم لا سيما في هذا الزمان. ومن العجيب ان أهل هذا العصر يقدسون شيوخ الصوفية ولا يعترضون على أحد منهم ولا على شيء من عادات أهل طرائقهم وان كان بدعة وضلالا! بل يقيمون النكير على من أنكر عليهم ولو بالحق ومع ذلك لا يلتفتون لكتبهم ولا يتدارسونها وان كانت لأئمتهم الذين جمعوا بين علمي الظاهر والباطن زعما ان هذه كماليات لا يطالعها الا من أراد أن يتفرغ لها! ، وبذلك اندرس علم تهذيب الاخلاق الذي هو روح الدين وقوامه لانه لا يوجد الا في كتبهم وكتب الفلاسفة وكتبهم هي التي تذكره على الطريقة الدينية . أليس من العجيب ان الازهر - أعظم المدارس الدينية عند المسلمين - لا يقرأ فيه علم تهذيب الاخلاق الذي لا دين بخلافه؟! اني كنت اطالع في كتب الاخلاق والتصوف قبل طلب العلم وكنت مولعا بها واذكر اني قلت لبعض شيوخنا اقرأ لنا الجزء الثالث من احياء علوم الدين بدلا من مقامات الحريري القليلة الجدوى فأبى علي ذلك متعللا بما لا حاجة لشرحه !. فالصوفية قد نفروا العلماء من كتبهم بما ذكرناه من شأنهم فشدة زهادتهم في الدنيا كانت سببا لزهادة المسلمين في الدنيا والآخرة معا! وكلامهم في الغوامض التي تخالف ظواهر الشرع مع التسليم لهم فتحت بابا لافساد العقائد وصار كل زنديق يدخل ما يشاء في كتب الدين منسوبا

لاولياء الصوفية وقد شرحنا بعض هذه المفاسد في مقالات سابقة ولاسيما مقالات الموالد ومقالات سلطة مشيخة الطرق الروحية وبينا سريان النزعات الوثنية في المسلمين بسببهم . ومن يستطيع اليوم أن يجرأ بالانكار على شيء من شؤونهم وان برأ منه الائمة العارفين الذين ينسبونه لهم ؟؟ أي عاقل يصدق ان السيد عبد القادر الجيلي وهو امام في كل العلوم والمعارف الاسلامية يقول: اعطيت سجلا مد البصر فيه اسماء اصحابي ومريدي الى يوم القيامة وقيل لي قد وهبوا لك؟! أيقول هذا عبد القادر والنبي الاعظم صلى الله عليه وسلم يقول لبنته سيدة النساء «يافاطمة يابنت محمد اعملي لاأغني عنك من الله شيئاً» . هل الذين قال الله تعالى فيهم «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» كانوا يلقبون اولئك الاحبار والرهبان بأعظم مما لقب به هذا العبد الخاضع لله تعالى عبد القادر الجيلي الذي ذكروا من ألقابه التي ينادى بها «يامحيي الرمم ياباري النسم ياضياء السموات والارض» هل قالوا فيهم أعظم من قول بعض جهلاء أهل الطريق «ان احد مريدي الغوث الاعظم مات فسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه فأجابهما بأنه لايعرف الا شيخه عبد القادر فأراد الملكان ان يوقعا به العذاب فجاء الغوث الاعظم فشفع له وأنجاه الله !!» اللهم ان هذا ضلال مؤد للاباحة يتبرأ منه الشيخ عبد القادر قدس الله سره الطاهر وكل من يؤمن بالله واليوم الآخر ومثله في كتب أهل الطريق كثير

سيقول السفهاء من الناس ان مثل هذه الانتقادات لاينبغي ان تنشر في الجرائد ولكن الكتب التي هي فيها قد طبعت مرارا كثيرة وتوجد

في كل بقعة من بقاع الارض يتبوأها المسلمون ولا نجد لها منكرا فهل هذا هو الدين؟ . وسيقول اخرون منهم ان ذكرها كان لغرض من الاغراض . ونحن نقول ان الذي يحاسب على المقاصد والنيات وخطرات القلوب هو الله تعالى وما دام الكلام حقا فلا يعترض عليه « لنا الظاهر والله يتولى السرائر » وقد تبين بهذا ومما نشرناه قبلا كيف كانت اطاعة هؤلاء الرؤساء مضلة للامة ، ولو أردنا ان نشرح حالة القوم اليوم لجئنا بالعجب العجاب ، وكفاك ان مقام الارشاد ينال بالجازة تشترى بريال واحد وما من أحد ينكر ان الفرق بين هذا الخلف وذلك السلف كالفرق بين الثرى والثريا وفقنا الله لمرضاته وألهمنا رشدنا لنتدارك ما مضى

شبهة وجوابها

ورد علينا رقيم من بعض قارئي جريدتنا انتقد فيه صاحبه ما كتبناه في شؤون الخلفاء وسيآتهم وتقصيرهم في وظيفتهم الدينية ونصحنا بان لا نعود الى الخوض في مثل هذه المواضيع لان كتابتها في جريدة سيارة يطلع عليها الاجانب وأعداؤنا وأعداء ديننا فيشمتون بنا ويتخذونها حجة علينا

والجواب عن هذه الشبهة من وجهين: أولهما ان ما كتبناه في ذلك هو قطرة من بحار التاريخ الزاخرة عند أولئك الاجانب أو الاعداء الذين يعنيهم المنتقد فاذا سكتنا عنه فسكوتنا كتمان له عن أبناء ملتنا الذين يجهله أكثرهم لاهمالهم علم التاريخ وظنهم انه لا فائدة فيه الا التسلية بل سمعت بعض الشيوخ الذين يدعون الفقه يقول ان قراءة التاريخ مكروهة

لان فيه كذبا وتمليله هذا يقتضي ان قراءة أكثر كتب الحديث والتفسير مكروهة لان فيها أحاديث موضوعة وضعيفة ومنكرة وقصصا كاذبة باطلة بل لا يبعد أن يقال على ذلك ان قراءتها محرمة لان الكذب في تفسير كتاب الله تعالى والاختلاق على نبيه من أعظم الكبائر لا يقاس بها الكذب في سيرة ملك أو حاكم أو خليفة أو عالم .

وفي كتب الفقه التي يشتغل بها المتفقه المذكور كثير من الاقوال الباطلة التي لا يصح العمل ولا الافتاء بها . والصواب ان شوب الحق بشيء من الباطل لا يقتضي ترك الحق وانما يقتضي النظر الدقيق والتمحيص ليخرج الحق من بين الاباطيل كما يخرج اللبن من فرث ودم خالصا للشاربين . وانما ذكرنا هذا لنبين لحضرة المنتقد قول شيوخنا في التاريخ الذي هو من أشد المنفرات عنه ليعلم مقدار حاجتنا الى استخراج فوائده وعرضها على أمتنا واشعارهم أنهم لا يمكن لهم الوقوف على حقيقة مرض الامة الا منها ومن لم يعرف مرضه لا يسعى لعلاجه واذا سعى فان سعيه يكون عبثا وضلالا ، بل خيبة ونكالا ، وما مثلنا مع الاجانب الذين يرتأي أصحاب الافكار الضيقة ان نستر ضعفنا عنهم بأسبابه ونتائجه الا مثل النعامة التي ترى الصياد يريد اقتناصها فتخفي رأسها وتستره لكيلا تراه توهما ان عماها عنه يوجب عماه عنها وأن ذلك عين النجاة ، وحرام على من يجهل تاريخ الغابر وحالة العصر الحاضر ان يقول هذا شيء يضر الامة وهذا شيء ينفعها ، وقد منينا والصبر بالله بقوم جهلاء في ثياب علماء يغشون الامة ويغررون بها توهما أن كل من يقرأ تنازع العوامل في النحو يعلم تنازع الامم وكل من يعرف احوال تقديم المسند والمسند اليه وتأخيرهما يعرف أسباب تقدم الامة وتأخرها وكل من

تصدر للفتوى في مسائل الرضاع والطلاق وصحة الاجارة والسلم له ان يفتي في صحة الشعوب من أمراضها، واطلاقها من وثاقها، بل وقعنا في فوضوية الافكار والعلم فصار كل فرد منا متعلماً مفتياً[1] ولا برهان يتوكأ عليه، ولا رئيس يرجع اليه، سياسة السواد الاعظم منا اليوم هي كتمان الامراض والسيئات، وان انتهى ذلك بالممات، وتكبير ما عساه يوجد من حسنة حتى تكون الحبة قبة والذرة جبلا، بل اختلاق الحسنات، والكذب فيها على الاحياء والاموات، لتسبح الامة في بحر الغرور، الى أن تهلك وتبور، وقد رأينا من سير الامم الحية أن كتابها وخطباءها يملؤن الدنيا صراخا وعويلا اذا صدر من أمتهم سيئة ويهولون أمر تلك السيئة بما يزعجون به الى ازالتها وربما يخفون الحسنات ولا سيما الاستعداد الحربي لما لا يخفى من الاسباب

(الوجه الثاني) ان كل ما نكتبه في الانتقاد على خلفاء المسلمين وأمرائهم وعلمائهم وأهل الطرق وجميع رجال الدين غرضنا الاول به بيان براءة الدين الاسلامي نفسه مما يرميه به أعداء المسلمين من الاوربيين الذين يزعمون أن جميع ما حل بهم من الضعف والضعة والظلم والاستبداد وفساد الاخلاق واختلال الاعمال النسبي يكاد يمحو سلطانهم من لوح البسيطة ويجعلهم أذل الشعوب وأفقرها — كل ذلك ما حل بهم الا بسبب دينهم فهو الذي جر اليهم البلاء، وطوحهم في مهاوي الشقاء، والحق ان هذا البلاء والشقاء ما جاءهم الا من الانحراف عن الدين وما كانت أمة لتنحرف عن دينها دفعة واحدة وانما يكون ذلك بالتدريج، بتحرف الرؤساء والامراء

(١) أي عرَّيفاً يدخل في كل ما يعنى له ويخوض في كل فن يعرض له

فتأول لهم العلماء — علماء السوء — فتبعهم الدهماء وهكذا كان شأن الذين جاؤا من قبلنا واتبعنا سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ولا يتم ذلك الا بعدة قرون .

لا ريب ان اظهار براءة الدين بريء أهله رؤسائهم ومرؤسيهم بالتقصير فيه والميل عن هديه، هو أعظم خدمة له ولاهله، والا كان النقد بل النقض موجها للاصل، الفرع معا وما يعقلها إلا العالمون . ويدخل في تبرئة الدين مما ذكر بيان انه أساس للسعادة متين لا يمكن أن يقوم صرح مجد أهله الا عليه خلافا لمن أعشى أبصارهم شعاع مدنية أوربا فرأوا ان التقليد الاعمى لها هو الذي ينهض بالامة، ومن زادنا هذا التقليد الأعمى الا شقاء وتعاسة؟ هل نهضت أمم أوربا الا باستقلال الفكر والارادة واتفاق الكلمة والجد في العمل والاعتماد على النفس في الاعمال الكسبية مع الاعتقاد بأنه لاقوة ولا سلطان وراء ما يحس به ويعلمه الناس الا الله تعالى وحده؟ وهذا عين ما جاء به القرآن وقرره الاسلام . واعترف بعض المنصفين من علماء أوربا وحكمائها بأن نشأة مدنيتها الحديثة انما كان رشاشا من نور الاسلام فاض عليها من الاندلس بأيدي تلامذة ابن رشد الفيلسوف الاسلامي ومن صفحات الكتب التي أخذوها في حروبهم مع المسلمين في الغرب والشرق

والغرض الآخر من انتقاداتنا النصيحة لرؤسائنا اليوم أن يتداركوا مافرط من بعض سلفهم ويصلحوا ما فسد من أمور أنفسهم ويعطوا وظائفهم حقها ويسيروا بالامة في المنهاج الذي نهجه الله تعالى لها والله على مانقول وكيل

﴿ المنار في بلاد البرازيل ﴾

نقدم خالص الشكر لرفيقتنا جريدة الاصمعي الغراء على تنويهها بشأن جريدتنا وتكرار الثناء عليها مما يزيد النزالة السورية في بلاد البرازيل رغبة فيها كما نشكر أبناء وطننا السوريين في تلك البلاد على موازرتنا فلقد أقبلوا على الجريدة مع أنهم مسيحيون ومشرب الجريدة اسلامي لكنها تحترم الدين المطلق وتقرر انه مبعث اشعة الفضائل والكمالات وان الرجوع الى تعاليمه الصحيحة لاسيما مواعظ القرآن والانجيل هو الذي يجمع القلوب على الاتفاق والائتلاف المؤدي الى سعادة الاوطان والانحراف عن ذلك ميلا مع ريح السياسات الاوربية هو الذي يلقي العداوة والبغضاء في النفوس بحجة الدين كما هو مشاهد في كل مكان نبتت فيه اقدامهم وانبثت فيه تعاليمهم . ويسرنا ان نرى العقلاء من العثمانيين وعلى الخصوص المسلمين والمسيحيين قد تنبهوا لهذا الامر وقد قام الكتاب يسعون في نشره بين الناس وتقريره في عقولهم وقد امتازت جريدتنا بكثرة الخوض في هذا الموضوع والاجتهاد في اقناع الامة العثمانية به واعترف لها بهذه المزية المسلمون والنصارى فقد قالت جريدة المقتطف الشهيرة أن الجرائد العربية النافعة للامة قليلة جدا والمنار منها . وقد قرأنا في العدد ١٥ من جريدة الاصمعي الغراء التي ذكرناها في صدر هذه النبذة ما نصه

« المنار أحسن جريدة في جرائد الاسلام كنا نطالع اعدادها منذ صدورها باسمات فلا نجد الا كل مقالة بليغة مملوءة بالاقوال الحكيمة

الفلسفية مما يدل على اقتدار صاحبها وتمكنه من العلم ، وقد حمل على عاتقه وفقه الله ان يبث في صدور أهل الشرق من الاسلام روح التهذيب الحقيقي وان يمسخ من عقولهم الخرافات والاضاليل وربما أنشأنا مقالة عن قريب عنوانها (جرائد الاسلام والمنار) »

«وفي العدد الاخير منها (يعني ١٧) مقالة عنوانها « الجيوش الغربية المعنوية في الفتوحات الشرقية » بالغة منتهى الاعجاز من منطق العقل وحسن السبك ذهب فيها الى أن الجيوش المعنوية هي الخمر والميسر والربا والبغاء والتجارة ، خمسة فيالق ادخلها الغرب الى الشرق ففاز عليه الفوز المبين وقد شرح مفصلا عن كل فيلق منها فوفاه حقه ، وياليت أن دولتنا العلية ابدها الله تصم اذنيها عن أقوال الوشاة وتسمح لهذه الجريدة النادرة المثال ان يدوم دخولها الى بلادها فيقرأها الناس ويطلعوا على ما في متنها » اه

فتأملوا رعاكم الله أيها القراء هذا الانصاف والبعد عن التعصب فهكذا ينبغي الاتفاق والائتلاف والتعاون على خدمة الاوطان لاسيما من أرباب الجرائد الذين نصبوا أنفسهم للخدمة العامة فحسبنا ما رأيناه من العبر في الخلاف والخصام

الاصلاح في الدولة العلية

تولدت جراثيم الضعف في الدولة العلية العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني (رحمه الله تعالى) الذي بلغت الدولة في عهده أعلى مراقي القوة والعزة ومن مئتي سنة الى الآن يظهر الضعف في الدولة شيأ فشيأ وهذه حقيقة لا ينكرها أحد كيف وقد اعترف بها السلطان عبد الحميد عليه الرحمة

واجتهد في الاصلاح وخط كلخانة شاهد رسمي على ذلك واعترف بها أيضا مولانا وخليفتنا السلطان الحالي عبدالحميد خان أيده الله تعالى ونصره في النطق الشريف الذي ألقاه على مجلس المبعوثان عند تأسيسه وذلك شاهد رسمي آخر، وقد فصل جودت باشا في تاريخه الحال بعلله وأسبابه وهو تاريخ يستقى من دفاتر الحكومة وأوراقها الرسمية

صدمت الدولة العلية في هذين القرنين صدمات شديدة ما كانت دولة أخرى لتقوى على احتمالها في نهاية قوتها فجميع الدول الاوربية القوية خصيماتها يتربصن بها الدوائر ويعاملنها بالمكر والخداع والمخاتلة ورعاياها مؤلفة من ملل وأجناس لا توجد في مملكة من ممالك الارض وهم باستيلاء الجهل عليهم ألاعيب في يد أوربا تحركها متى شاءت فلاجرم كانت سياستها أصعب سياسة في العالم، جهل وتفرق الرعية، وضعف في الدولة، وأعداء أقوياء في الخارج

اذا تمهد هذا فاعلم أن مولانا السلطان الاعظم قد حمل على عاتقه حملا لا تستطيعه أمة بمجموعها ومن ثم ألف أحد الامريكين رسالة في مناقبه موضوعها « هل ينهض بأعباء أمة عظيمة رجل واحد» وقد ظهر كتاب جديد في مناقبه لأحد الالمان أتى فيه بالعجب العجاب وسننشر نبذا منه في بعض الفرص أن شاء الله تعالى، والمشهور من سياسته الحكيمة في الشؤون الخارجية أكثر من الشؤون الداخلية فانه حفظه الله تعالى مقاوم بشخصه الكريم لاوربا كلها، والمنتقدون على سياسته ينسبون لها التقصير في اصلاح داخلية المملكة مع أنه قد أجرى فيها ما نعلمه من الكتاب الذي ننشره تباعا تحت عنوان (قليل من الحقائق عن تركيا في عهد جلالة السلطان

عبد الحميد الثاني) لكن الذي يذهب ببهاء هذه الاصلاحات والاعمال الجليلة العمال والحكام الخائنون وهم كثيرون في الدولة جداً، وما كان السلطان ليقدر على تقويم الافكار واصلاح النفوس في سنة أو سنين وانما يحتاج هذا الى عناية عظيمة بتعميم التربية والتعليم على أحسن الطرق وأفيدها وفي ذلك الضمان الكافي لاصلاح المستقبل وسنشرح رأينا في الاصلاح في اقتراح نرفعه الى مقام الخلافة على صفحات هذه الجريدة وقد أنبأنا البرق في هذه الايام بأن سماحتلو شيخ الاسلام ودولتلو ناظر العدلية قد رفعا للحضرة السلطانية عريضة يلتمسون فيها الاصلاح الذي تضطر اليه الدولة في هذه الاوقات الحرجة ولعل هذا لا يتم الا بانتقاء الرجال الفضلاء الصادقين وتقليدهم الوظائف والقاء التبعة عليهم في كل ما يوجبها وان في الدولة رجالا قادرين صادقين كما أن فيها قوما ظالمين وهكذا شأن كل الامم، وشيخ الاسلام وناظر العدلية بيدهما زمام القضاء الذي هو أساس الاصلاح المتين وركنه الركين فعسى ان يبدءا بالاصلاح القضائي ومولانا يساعدهما عليه بغير ريب، وقد تعلقت ارادته بتأليف لجنة برياسة ناظر المالية تبحث في شؤونها وتلو ذلك البحث في الاعمال الادارية والمعارف ان شاء الله تعالى (*)

(*) هكذا كنا نقول بصدور الارادات بالاصلاح حتى أيقنا بعد طول الاختبار ان هذا كله من قبيل ذر الرماد في العيون والهاء الناس عن الاصلاح والمطالبة به وماذا تعمل اللجان اذا كانت المالية طوع الارادة المطلقة تعطي منها ماتشاء وتمنع ماتشاء وكان السلطان وحاشيته يأخذون منها اضعاف مالهم ولا يعطون شيئا لمانعيهم؟! وهكذا الحال في سائر الشؤون

﴿ أخبار تونسية ملخصة من جريدة الحاضرة الغراء ﴾

﴿ بواعث التحصيل ﴾

لا يخفى ان المرء بكماله ، لا بجماله، وان فضل الادب ، أسمى وأجل من فضل النسب ، وان منهل العلوم ومورد الكمالات يسعى اليه من كل صوب وحدب، وجريا على هذه القاعدة قد قررت الحكومة المحمدية أن لا يتولى الوظائف الادارية في المستقبل الا من توفرت فيه شروط اللياقة والاهلية فزيادة على تحصيل العلوم العربية يتعين على طالب الوظيفة أن يبرهن على احرازه الملكة الكافية في تثقيف الذهن بالفنون الوقتية من العقلية والنقلية التي اقتضتها الظروف الحالية كالجغرافيا والحساب والتاريخ ولا شك ان هذا التنظيم من بواعث التنشيط على اقتناء الكمالات والمعارف النافعة ولذلك نحث عموم الشبان التونسيين الذين يقصدون الانخراط في سلك الخدمات الادارية أن يقبلوا على مناهل التعليم بجد وهمة تمكنهم من احراز قصبة السبق في هذا الميدان وهذا نص الامر العالي الصادر في هذا الشأن :

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه علي باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله تعالى أعماله وبلغه آماله الى من يقف على أمرنا هذا من الخاصة والعامة . أما بعد فبناء على انه من اللازم أن تكون للمستخدمين المسلمين بسائر الادارات التونسية معارف عمومية في علم الحساب والتاريخ والجغرافية وبمقتضى ما قرره مدير العلوم والمعارف

ومعروض وزيرنا الاكبر أصدرنا أمرنا هذا بما يأتي

﴿ الفصل الاول ﴾

جعلنا شهادة في المعارف العملية يقع اعطاؤها عقب امتحان يشتمل قانونه على المواد المذكورة في الفصل الثالث

﴿ الفصل الثاني ﴾

الانفار الحائزون على هاته الشهادة يفضلون على غيرهم من المترشحين الغير المحصلين على غيرها من الشهادات التي تراها الدولة مساوية لها وقطع النظر عن الامتحانات الفنية وذلك للحصول على الخطط الآتي ذكرها

خطة الخلفاء، وخطة مستخدمي ادارة المال وادارة الاداآت وجمعية الاوقاف . وخطة الوكالة . وخطة حكام بالمجالس المدنية

﴿ الفصل الثالث ﴾

يشتمل قانون المعارف على المواد الآتي ذكرها

علم الحساب — العمليات الاربع والكسور العشرية والكسور الاعتيادية وقاعدة الثلاث وقاعدة الشركة والنسب والطريقة الميترية ومكاييل المساحة والجرام

علم الهندسة — القواعد الابتدائية والعملية وقواعد المساحة

علم الجغرافية — جغرافية أقطار الدنيا الخمسة الابتدائية وجغرافية حائط البحر المتوسط من حيث الطبيعة والسياسة والثروة وجغرافية القطر التونسي والجزائر منفصلة

علم التاريخ — تاريخ شمال افريقيا والقطر التونسي خصوصا وتاريخ التمدن الاوروباوي ملخصا وتاريخ العرب اه باختصار

تقريظ

أهدانا حضرة الفاضل الكامل سيدي محمد بن الخوجه رئيس قلم الحساب في الدولة التونسية كتابا نفيسا جمعه بامر حكومته السنية يشتمل على سبع رسائل مفيدة ألفها أكابر مشايخ الاسلام من السادة الحنفية والسادة المالكية في مسائل الانزالات والخلوات والكردار وما يتبع ذلك من النصبة والجلسة والمزقة وبيع الوقف الخرب وقد حررت هذه المسائل في تلك الرسائل تحريراً، جعل المهدي الفاضل هديته هذه «صلة الادب ورابطة الوداد الخالص» بمنشيء هذه الجريدة ووصفنا بما هو أهل له من خدمة الملة والدين، فنشكر لهذا الودود الجديد هديته ونستمسك مخلصين بعروة صلته

الاصلاح المطلوب (*

يجب على من يتكلم في الاصلاح أن يكون على علم بوجوه الافساد ومثاراتها في الامة التي يبحث في اصلاحها والا خبط خبط عشواء فان اتفقت له الاصابة في بعض كلامه فرمية من غير رام وان اخطأ فهو ما ينتظر منه . وقد قلنا في مقالة سابقة انه يحرم على من يجهل تاريخ أمة أن يقول هذا شيء يضرها وهذا ينفعها .وهانحن أولاء نأتي بمجمل من خبر الخلل الذي طرأ على الدولة العلية قبل الكلام على الاصلاح الواجب نستقي ذلك من تاريخ جودت باشا الذي يعتبر تاريخا رسميا للدولة

*) فاتحة العدد الثامن والثلاثين الصادر في يوم السبت ٢٦ رجب سنة ١٣١٦

العلية كما علمت من العدد الماضي ولذلك نعتقد ان الدولة العلية لاتستاء من بحثنا هذا لأن التاريخ المذكور منتشر في جميع البلاد العثمانية وهو من جملة الكتب التي أهداها مولانا السلطان الاعظم عبد الحميد خان أيده الله تعالى لمكتبة المدرسة الحميدية في عكار وفي ذلك دليل على انه يرضى بأن يدرس لطلاب العلم . وهذا يدحض مايزعمه بعض الكتاب وأصحاب الجرائد من كراهة مولانا السلطان دراسة أحوال الدولة العلية ومعرفة الخلل الذي طرأ عليها(*)

فصل جودت باشا رحمه الله تعالى في الفصل الخامس من الجزء الاول من تاريخه أخبار الخلل الذي طرأ على قوانين الدولة العلية فرماها بالضعف الذي هي عليه وبين أسباب ذلك وعلله فنقتطف من ذلك ماترى ملخصا

لما بلغت الدولة على عهد السلطان سليمان القانوني (رحمه الله تعالى) درجة الكمال في القوة البرية والبحرية وفي الادارة احتجب السلطان وترك حضور الديوان والسفر الى الحرب فضعف اهتمامه بالامور وقل اطلاعه على الحقائق وبعد مارتب قوانين الدولة احسن ترتيب كان هو أول من خالف النظام وتلاعب بالاحكام فكانت سنة سيئة فيمن جاء من بعده وهاك أنموذجا من ذلك

المناصب الملكية والعسكرية

كان منصب الصدارة العظمى لا يناط الا باهله الذين تنقلوا في مراتب الاعمال تدريجا من الالوية الى الولايات الاناضولية ثم الروملية ومن ذلك الى رتبة الوزارة مع العفة والاستقامة فخالف السلطان سليمان

(*) بعد ما علمنا ان السلطان أمر بطبع هذا التاريخ وقراءته وطبعت نسخة منه اقصوعرفة